

الذات المتناقصة وذوات الخطاب الفني (المسرح بين ذاتين)

Transcultural Self and Artistic Discourse Selves (Theatre in between)

علي عبد الامير عباس*
جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون المسرحية

ملخص:

من حكم الكلمات عن مكان الثقافة في شؤون بني البشر قيل بان الثقافة لا السياسة هي من سبل النجاحات المجتمعية ورقمها وتحليل الذوات في داخل المجتمعات بطريقة علمية من خلال التعبير عن نفسها انطلاقاً من رأي فردي او جماعي وعليه فان رحلة البحث عن العلاقة فيما بين الذات الفردية التي تحمل وعي وفكر (التثاقف Transculturation) من حيث انه تجربة إنسانية تضع الذات من خلالها في وضع الممتحن، وموضوعة الفن المسرحي هو المحور الأساس لوضع الحلول والاليات وطرق الابواب من اجل الحفاظ على الموروث الأيكولوجي لهذا الفن، فهو جُل ما سنبحث عنه في متن هذه الورقة البحثية. الكلمات المفتاحية: الهوية: المثاقفة: الذات: الخطاب المسرحي: الخطاب الفني.

Abstract:

From the rule of words about the place of culture in the affairs of human beings, it was said that culture, not politics, is one of the ways of community successes, advancement and analysis of selves within societies in a scientific way by expressing itself from an individual or collective opinion_ the journey of searching for the relationship between the individual self and the self that holds awareness and thought (i.e. transculturation) in that it is a human experience through which the self is put in the position of the examiner, where the subject of theatrical art is the main source putting forward the solutions and mechanisms as well as establishing paths to preserve the ecological heritage of this art, which is the aim that this research paper tackles.

Keywords: Identity, transculturation, self, theatrical discourse, artistic discourse

* باحث وأكاديمي، أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي العراقي / جامعة بابل / كلية الفنون الجميلة / قسم الفنون المسرحية. dr.alialzadee@gmail.com

مقدمة

هذه الدراسة تُسلط الضوء على ذات الفرد متفردة وذوات الافراد مجتمعين عن طريق أصوله وقدراته ووسائله واتجاهاته وشعوره، اذ يُعتبر هذا المفهوم قوة موجهة للسلوك وانعكاس للعلاقة بالبيئة ليتجلى للآخر (فكرته عن نفسه) باعتباره مصدرًا للتأثير والتأثر في البيئة المحيطة. وتوالد الثقافة بطريقة لا شعورية بل باسترسال من خلال أسلوب التصرف أو تقديم الذات في علاقات الحياة الخارجية، للفعاليات الانسانية التي تتكون من عدد من الذوات وهم يشغلون علاقات لمراكز، وادوار مُحددة بالنسبة لبعضهم البعض، فالذوات التي هي شبكة قائمة من العلاقات، تدل على ارتباطات مُتعددة ومتنوعة يُشعر الذات بأنه أكثر انتماء فهم أقوى من الاقتران العقلي أو التعاقدي للذوات والذين تربطهم فيما بينهم علاقات مختلفة، تؤثر في طبيعة ومحددات السلوك والتي قد تكون (وراثية أو فسيولوجية أو بيئية أو سيكولوجية) وما سيتم بحثه في هذا البحث هو المُحدد السيكولوجي لطبيعة الذات البشرية في استقصاؤها للحقائق والمعوقات التي قد تعتري مسيرة الذات في داخل المجتمع، ولعل الوقوف عند مفهوم الذات ودوافعها واحتياجاتها غير كافٍ، اذ ان تواجدها بين ذوات الآخرين هو المستوى الاشمل لذا وجدت بان النظر الى ذات الفرد متفردة او مع الاخريات تُمثل الابرز، فهي ليست شيئاً مُوروثاً لدى الإنسان وإنما هي نتاج الخبرات التي يُمَر بها والتفاعل مع البيئة التي يعيش فيها، وتقييم الفرد لذاته يتولد منذ الصغر تدريجياً وعبر مراحل النمو المُختلفة مع الرغبة في تحقيق الذات المثالية له، وغالباً ما يسعى الفرد إلى تحقيق ذات مُلائمة مع إمكانياته وخبراته ودرجة تكيفه مع بيئته. ويمكن القول إن مفهوم الذات يشمل كل ما يملكه الفرد بصوره المركبة والمؤلفة من تفكيره عن نفسه ورؤية الآخرين له كذلك رؤيته بما يَتمنى أن يكون عليه. كما تتميز وظيفة مفهوم الذات بأنها انتقائية من خلال إدراكها للخبرات والمواقف التي تتعرض لها والتي تتلاءم أو تتعارض مع ميولها ورغباتها واعتقاداتها. لذلك تبتعد استجابات الفرد عن النمطية فقد تختلف استجابته في موقف مُماثل وفق الزمان والمكان، فهو يسعى إلى تنظيم خبراته من أجل التكيف مع الذات ومع الآخرين. إن الجماعة الإنسانية تُظهر عدة علاقات اجتماعية، وان بعض العلاقات تعمل على توحيد الذوات وتدعيمها، فمفهوم الذات من الأبعاد الهامة في دراسة شخصية الفرد وعاملاً مُهماً من العوامل التي تُمارس تأثيراً كبيراً على السلوك وعلى الحالة النفسية للفرد وكلما زادت المعرفة بطبيعة الإنسان زاد تميز الصورة الذهنية التي يكونها الفرد عن ذاته والتي تنشأ من أنها ذات ثلاثية الأبعاد يختص البعد الاول بالفكرة التي يأخذها الفرد عن قدراته وكذلك إمكانياته أما الثاني فيتعلق بفكرة الفرد عن ذاته وتواجد مع الاخريات من أقرانها اما البعد الثالث فهو نظرة الفرد إلى ذاته كما يجب أن تكون، وأحياناً ما يختلط على الفرد إدراك ذاته نتيجة لتعدد خبراته وتجاربه مع الآخرين ونتيجة

لاستجاباته للمواقف التي يتعرض لها وانطباعاته عن إدراك الآخرين لسلوك ذاته وإن صورة الفرد عن ذاته لها الأثر الكبير والأهمية البالغة، ولما تقدّم فإن مشكلة البحث الحالي تركز على الاستفهام الآتي بالذكر: ما هي السلوكيات التي انتهجتها الذات البشرية منفردة او مجتمعة لتكوين وبلورة ما يُعرف اليوم بالظاهرة المسرحية؟

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث بتبسيط الضوء على الموضوعية وهي تبحث في الخطاب الذاتي من حيث أنه استراتيجية تعتمد الهوية ضمن حقل معرفي وإنساني ألا وهو المسرح، هي ما يهمنا، ولعل المشتغل اليوم في المجال الادبي ينحوا الاتجاه النظري للكتابة تاركاً المتلقي لوحده يجذب صوب الجماليات التي يحملها بين طياته وثناياه، أو أنه يعتمد الى ملئ النص بالفجوات والبياضات الجمالية التي من شأنها ان تجذب المتلقي الى منطقة المنتج الفني وهو غاية المطلوب، فتأويلية الوعي الثقافي هي مسألة تأطير للهوية في ضوء المعطى الخطابي. اذ تُعد المعارف اليوم هي من تجعل الامور في متناول اليد، وإذا ما كانت المعارف كذلك فسنحصل على ارضية مناسبة للوصول الى المبتغى.

وتبرز الحاجة لموضوعية البحث كمحاولة لتكريس المفهوم والبحث عن الحلول والاقتراحات، أملاً في أن تكون هذه الدراسة ببحثها مُنطلقاً لدراسات أكاديمية مُستقبلاً

هدف البحث: يهدف البحث الحالي الى:

- البحث عن السلوك الفردي والجمعي للفرد الثقافي المؤثر في جسد ثقافة المسرح.

- الحقل المعرفي للموضوع: الادب المسرحي.

حدود البحث

الحدود الموضوعية: السلوك المتناقص للذات الكاتبة للمسرح.

الحدود المكانية: المجتمعات التي انتشر فيها الفن وثقافة المسرح.

الحدود الزمانية: 1564- 1616.

المنهج وطرق معالجة الموضوع

اعتد البحث الحالي على المنهج التاريخي بوصفه الطريقة الناجعة في ثناياه ولكونه

الانسب لطبيعة الموضوع.

المبحث النظري للبحث

الأصل اللاتيني لمفردة (التثاقف Acculturation) مستمد من كلمة (Acculturer) والتي تعني

تمثل فريق بشري، كلياً أو جزئياً، لفريق بشري آخر وتأقلمه مع ثقافة أجنبية متصل بها، أي بمعنى المثاقفة والانسلاخ الثقافي، كما تعني أيضاً انتقال سمات ثقافية من حضارة إلى أخرى

مع شعور ذاتي وواقعي بالنقص الثقافي، فالحر (a) هنا ليس مانعا. هذه الكلمة ليست موجودة في الكثير من المعاجم الحديثة عكس كلمة (Deculturation) التي ظهرت قبل ذلك في القواميس بمختلف اللغات (BRAMI. (2000). P 54). اما المثاقفة فهي "مجموعة الظواهر الناتجة من احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي الى ثقافات مختلفة تؤدي الى تغييرات في الانماط الثقافية الاولى للجماعة او الجماعات" (دورتيه، ج، 2011، 119) او أنها "اختزال واقع تعايش وتلاقح ثقافات مختلفة" (بونت، إيزار، 2011، 432) وعليه نصل الى التغيير-الثقافي في جميع الظواهر- الحاصل من خلال تفاعل جماعتين مختلفتين بالثقافات بالنمط السائد -النمط الثقافي الاصلي- لاحدهما لا لكليهما من خلال تعريفها بحثياً، او انها التنامي الفكري والعقلي، فالشخصي في فن المسرح مثلاً عند شكسبير هو تصور الحياة والابداع من خلال السمات المجتمعية لحقبة زمنية وتأثيرها على الفن المسرحي.

قد يكون الرأي السائد لـ(شبنجلر Spengler) في كتابه (اقول الغرب Decline of the west) من اننا كأفراد لا نستطيع رؤية الغاية بسبب الأشجار، بعد غرق التباينات الداخلية لانساق الثقافة المختلفة ونتيجة متأخرة للهوس الشديد في التباينات هذا ما يقودنا الى روح الجماعة وروح الطبقة فاصبح (جوته Johann Wolfgang von Goethe) يمثل روح الالمان و(دوستوفسكي Fyodor Dostoyevsky) ويمثل روح السلافيين ومنه بات (شكسبير William Shakespeare) يمثل روح الإنكليز فهي حالة (روح الفرد) التي يمثلها هؤلاء الفاعلون في مجتمعاتهم او على الصعيد العالمي، ففي كتاب (نفسية الشعوب Psychology of people) لـ(لازاروس Richard Lazarus) يشير الكاتب الى الفرد الذي ينقل الصفات الى الشعوب بطريقة عجيبة وهو بذلك مُمَثِّل الفكر الجمعي، ويكون ناقلاً للفكر، ومنه ايضاً ما ذهب اليه (غوستاف لوبون Gustave Le Bon) مؤسس (النفس الجماعية) فالعملية هي نقل صفات مخصوصة من الفرد الى الشعوب والطبقات. ويعد مفهوم (التثاقف Transculturation) من المفاهيم التي ظهرت لأول مرة على يد علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين الشماليين في سنة (1880) دلالة على التغيرات في الصورة الثقافية للمجتمعات الحديثة، فـ(التثاقف Transculturation) كمفهوم مُستقل تناوله العديد من الباحثين من مختلف الاتجاهات النظرية، فتناوله الأنثروبولوجيون من الدراسات التي تناولت الأوضاع الثقافية عند الشعوب المُستعمرة وهذا بالتركيز على التحليل الأنثروبولوجي لآثار المعتقدات والتقنيات الأوروبية والأمريكية على المجتمعات غير التابعة لها، اذ توصلت إلى انه لا يوجد في الوقت الحاضر مجتمع أو فرد ما بمنأى عن تبعات التثاقف، بينما علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ينظرون إلى هذا المصطلح على انه عملية ديناميكية وعامل أساسي من عوامل وتكوين الشخصية بوساطة التفاعل والتواصل مع الآخر. هذا التعدد في تناول أفرز

العديد من التعاريف منها ما توصل اليه كل من (Redfield Linton et, Herskovits) (موسكوفيتش وارلف لينتون وريد فيلد) ويعرفون (الثقافة Transculturation) بأنه: "مجموعة الظواهر الناتجة عن التفاعل المباشر والمستمر بين مجموعتين ذوو ثقافات مختلفة، الشيء الذي يؤدي إلى حدوث تغيرات على الأنماط الثقافية البدائية لإحدى المجموعتين أو لكليهما "

ان الثقافة هي امتداد حقيقي الى خارج الحدود السياسية التي يحاول رسمها القادة وصانعو السيادة القومية غير مكتثرين لما هو خارج اسوار ما رسموه فهي لا تُحبس داخل الاسوار ويمكن تأكيد هذا الادعاء بشكل مبسط جداً لان كل نشاط انساني في غايته التنوير والانتشار هو ثقافي، ومن هذه الفرضية نجد ان العلاقة فيما بين الاشخاص يمكن تقسيمها الى نمطين الا وهما (العلائقية والهوية) فحسب رأي (نورمان فيركلف Norman fairclough) يتعلق هذان النمطان بالطرق التي تمارس بها العلاقات الاجتماعية لا بل وتتجلى بها الهويات الثقافية والاجتماعية، ويجب التركيز هنا على بناء الذات في داخل المجموعة وبالأخص على الطرائق التي يسهم بها الخطاب في عمليات التغيير الثقافي وهي التي تتعرض فيها الهويات الاجتماعية او الذوات المرتبطة بمجالات محددة لإعادة التحديد والتكوين (2015، 169) وباتت سمات الافراد الذوات وتجاربهم الثقافية غير قابلة للاختزال وتجاوز كل ما من شأنه التأثير في الثقافة، فللتجارب الثقافية قيمها وتوقعاتها وبالاعتقاد انها تنطبق على كل البشرية -من منظور (العالمية Universalism/Universality)- فالطبيعة البشرية مُشتركة ولا يمكن إخفاء هذا الاختلاف المشترك، و(الثقافة Transculturation) هو التأثيرات المتبادلة لطرق التمثيل والممارسات الثقافية على اختلاف انواعها، والثقافة هي رصيد الافكار التي تنتقل اجتماعياً وتتوالد عبر الاجيال فهي بذلك تغدو منظومة معلومات ذا مستويات متباينة، فتناول ما هو ملائم شكلياً وكفوء وفعال ضمن البيئة التي يعيش فيه الذوات الافراد هو ما يمثل الثقافة، وعليه تغدو سلوكاً منقولاً -بالإيجاب او السلب- من جماعة ما، انها الاكتساب الفعلي للفرد داخل الجماعة.

تعد طبيعة الثقافة العالمية أنها متعددة ومُتنوعة لتُعبّر عن هوية الأفراد وروحهم وخصوصيتهم، وبموروثها وأعرافها وقيمها الاجتماعية... لذلك حين نتحدث عن الثقافة فإننا نعني الحوار بين ثقافتين أو أكثر، كل منها تعبر عن خصوصيتها المحلية، وعن قيمها التي نشأ وتربى عليها المنتسبون إليها، ومن ثم يرتبطون بها وجدانياً فيندفعون لخدمتها، وتُشكّل لديهم الإحساس بالتفوق الذي قد يتمظهر سلوكياً في رفض الآخر، أو محاولة احتوائه وعزله عن انتمائه الثقافي، ومن هنا يجب التسليم أنه من الصعوبة بمكان أن نؤسس لحوار ثقافي، يتحكم فيه العامل السيكولوجي المتمثل في عقدة الشعور بالتفوق وتبعاتها، ويتحكم فيه عامل آخر يتمثل في تنافر القيم المنبثقة عن الثقافات المختلفة، التي يعبر كل منها عن كينونتها التي تأبى

التسليم بوجود ثقافة نموذجية واحدة ومهيمنة، وعليه فالمثاقفة هي مجموعة علاقات مركبة تعبر عن مشكلات أثرت في سياق تاريخي ارتبط بالاستعمار ومخلفاته، من أهمها التالي:

العلاقة التي تجمع بين ثقافة الأنا.

العلاقة التي تجمع بين ثقافة السيد وثقافة العبد.

فعملية (الثقاف Transculturation) إذن تكشف علاقة اللا تكافؤ الواضح بين ثقافة الإنسان والاستعمار. اما خصائص عملية (الثقاف Transculturation) النوعية في تشكيل الهوية تتحدد تبعاً لشروط حدوثه وتتبع نوع التفاعل وهذا بدوره يتحدد بوساطة: العدد والامتداد يشير (وليام فوت وايت William Foote Whyte) في كتابه (Street Corner Society) إلى نتيجة مفادها أنه كلما كانت الجماعات غير متساوية في العدد كلما كان اختراق معايير الثقافة المستعمرة هي السمة البارزة لرموز الثقافة المغلوبة سهلاً ومحطماً لهذه الثقافة. فالثقافة الأجنبية هي مهددة للتوازن النفسي حسب رأي (وليام فوت وايت William Foote Whyte) ففي دراسته عن الشباب الايطالي في بوسطن يجد بأن الثقافة الأجنبية تمثل عاملاً من العوامل المهددة للتوازن النفسي للفرد، فهي خاصة إذا كانت ذات طابع مغربي وتستجيب لأهواء الفرد، تولد لديه صراعا بين الأخذ بمعايير هذه الثقافة أو التمسك بثقافته الأصلية.

التجانس :

وهي أربع جماعات كما في:

جماعات أثنية: جماعة (Maohi).

جماعة (Papao)

جماعة الصينيين.

الجماعة الناتجة عن التفاعل بين الجماعات السابقة (إلى أن ثقاف أفراد جماعة الفرنسيين في تفاعلهم مع جماعة (Maohi) يبقى محدودا جدا بالمقارنة مع (الثقاف Transculturation) لدى الصينيين اذ نجد شعورا قويا بالانتماء، ويعود ذلك للتجانس بين أفراد الجماعة الصينية).

درجة الانفتاح والانغلاق

توصلت العديد من الدراسات بأن (الثقاف Transculturation) يتحدد في الكثير من الأحيان بطبيعة التبادلات الثقافية بين الفئات المتفاعلة وهذا تبعا لدرجة انفتاح أو انغلاق هذه المجتمعات على العالم الخارجي.

وتتحدد طبيعة التفاعل الثقافي بين الافراد الذوات وبين اجتماعها من الاتي:

أ. حسب إمكانية الاختيار لدى الأفراد: تتغير طبيعة التفاعل الثقافي في الجماعة حسب المكانة الاجتماعية للفرد وكذا طبيعة التفاعل بين الثقافتين، يمكننا أن نحدد ثلاث أنواع من التفاعل بين الثقافات:

التفاعل الجبر: وهو حال التفاعل من دون قيود بين ثقافات مجتمعات مختلفة، ويظهر ذلك مثلاً في أثر العولمة الثقافية على مختلف ثقافات دول العالم خاصة دول العالم الثالث.

التفاعل المفروض والمسلط: وهذه هي حالة الشعوب المستعمرة، وتتميز برفض لغة وديانة المستعمر وكذا نظامه الاجتماعي وتمثيلاته الثقافية والاجتماعية من الالتفاف حول الثقافة الأصلية، مثال ذلك شعوب دول المغرب العربي أثناء المرحلة الاستعمارية.

التفاعل الموجه أو المخطط: ويمثل عملية انسلاخي عن الثقافة الأصلية بطريقة عقلانية ومقننة، حسب خطة موجهة لتحقيق ثقاف محدد بإتباع مراحل مدروسة، مثال ذلك مشاريع مساعدة الشباب لتحقيق اندماج اجتماعي جيد في ظل عمليات العولمة الثقافية والاجتماعية.

ب. حسب نوعية التفاعل: ويتم تمييز نوعين من التفاعل الا وهما:

التفاعل المباشر: مثال ذلك حالة الشعوب المستعمرة وحتى أثر السياح في البلدان المستقبلية يمكن اعتباره تفاعلاً مباشراً.

التفاعل غير المباشر: مع الثقافة الأجنبية، ويتم ذلك من أثر الثقافة المنتشرة بقوة وسائل الإعلام السمعية والبصرية وبخاصة الانترنت والفضائيات، يتم هذا التفاعل بصورة واسعة في عصرنا الحالي نتيجة التطور الكبير للتكنولوجيا.

ج. حسب مدة التفاعل: ويتم تمييز نوعين من التفاعل الا وهما:

التفاعل المستمر والممتد: وهو التفاعل الأكثر دراسة في مجمل الدراسات الحديثة حول الموضوع، مثال ذلك التفاعل بين الثقافة الكولونيالية وثقافة الأهالي في البلدان المستعمرة سابقاً، وكذا حال الضغط الرهيب لوسائل العولمة على الثقافات المحلية في عصرنا هذا.

التفاعل غير المستمر: مثال ذلك حال السياح والمبعوثين إلى مختلف بقاع العالم، وأحسن دليل على ذلك أثر هذه الحركات الإنسانية الثقافية من مجتمع إلى آخر في بروز آثار هذا التفاعل واضحة للعيان حتى بعد نهايته).

من البحث بين ذوات الثقافات، نجد أن سلوكيات وردود أفعالها تجاه وضعيات التفاعل الثقافي ليست نفسها في المجتمع المحلي وحتى في المجتمع الخارجي، فهذا (جون بييري -) W. Berry أستاذ علم النفس في جامعة أوتاويو في كندا يتكلم عن نظرية الأنماط الثقافية التي تظهر لدى الأفراد المتناقصين، وتقوم هذه النظرية على رفض الاتجاه الذي يعتبر الهوية هدف

مُحتَم، والتأكيد على الميزة الدينامية لعملية بناء الهوية مع تحديد الذات في مقابل التغير الثقافي الذي يمس المجتمع الأصلي تحت تأثير التلاصق مع ثقافات أخرى، كما اعتمد (جون بيرري J-W Berry) في نظريته على مبدأ اختيار الفرد لإستراتيجية (الثقافة Transculturation) الذي تساعده على تحقيق التوازن وبالتالي التكيف، فهو بهذا يعتبر أن الفرد مشارك في عملية (الثقافة Transculturation) التي تمس مجتمعه المحلي وهو حر في اختيار أحد النموذجين الثقافيّين الذي يراه مناسباً لتطلعاته سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، وبدأ (جون بيرري J-W. Berry) بتحديد مفهوم (الثقافة Transculturation) والجماعات المتثقفة، ثم أشار بعد ذلك إلى أن الأفراد الذوات الواقعيين تحت ضغط التفاعل بين الثقافات يظهرون تغيرات على المستوى النفسي في ظل الارتباط بين النفسي والثقافي أي اننا نجد أن الثقافة تُمثل روح الجانب النفسي، والنفوس تدعم الجانب الثقافي، قبل أن يشير (جون بيرري J-W. Berry) إلى استراتيجيات الثقافة عند الفرد، أشار إلى الجماعات المتثقفة انتقاداً منه للدراسات التي تناول الثقافة (Transculturation) على جماعة واحدة فقط لا غير.

وبالعودة إلى مفهوم الثقافة في الفكر الغربي فإننا سنجد مختلفاً تماماً عما يطرح في محيطنا الثقافي، حيث تطرح الثقافة على أنها علاقة بين ثقافة متفوقة وثقافة متخلفة بمعنى أن الثقافة التي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي والتبادل الثقافي؛ هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحّد لكل تقدم حضاري، ولا نمط سواه، وعلى كل الشعوب تقليده، والسير على منواله، واحتكار الغرب وحده حق إبداع التجارب الجديدة والأنماط الأخرى للتقدم حسب ما ذهب إليه (حسن حنفي) في مؤلفه (1991، 30). فمثلاً نجد ان النتائج الفكرية -المسرحية- للكاتب (وليام شكسبير) والذي اشتهرت كتاباته في العصر الإليزابيثي او عصر النهضة، قد اخذ مساحة شاسعة وواسعة وكذلك نال الصيت والشهرة الكبيرين على الرغم من انه كان (ممثلاً وشاعراً وايضاً كاتباً) والسبب يعود الى ان كتاباته المسرحية قد لامست الجسد الثقافي للذات الانسانية وبالتالي لثقافة المجتمعات العالمية وكونت باكورة اعماله الادبية مسرحياً ثقافة مجتمعية اذا انه سعى منذ اللحظة الاولى لتواجهه الادبي ان يبتكر المفردات والموضوعات الجادة والجديدة على الرغم من بداياته الكوميديّة مسرحياً الا انه اشتهر بتراجيدياته التي تحولت فيما بعد الى مسرحاً عالمياً يُستشهد بها عبر الزمان والعصور، فالديمومة الادبية لتراجيدياته جاءت من خلال كسر النمط لشخصه المسرحية فجاءت تارة تمثل الطبقة الارستقراطية للمجتمع وتارة اخرى يبحث فيها امور البسطاء والضعفاء في المجتمع وكأنه يسعى للروية بعينين لا بأحدهما، فكتاباته المسرحية تجلب المتعة وتتجاوز حدود

المتعارف عليه وكسر الحدود وافق التوقع لدى المتلقي وهي بذلك ثقافة من نوع خاص قد بثها في جسد الثقافة المسرحية العالمية، فالذات لديه كمفهوم يتشكل من خلال تجاربه الفردية او الشخصية واحتكاكه بالبيئة المحيطة به من ناحية، كما يتكون نتيجة للعلاقات التي يستقبلها فردياً من تجارب الآخرين المحيطين ببيئته من جهة أخرى، فهي تجربة منفردة كذات منفردة لكن الاحتكاك بذوات التجارب المجتمعية الاخرى على صعيد العالم او تجارب متفرقة أخرى تجعل منها ذات جماعية-وهنا التحول يتكون من الذات المنفردة الى الذوات الجماعية -، فالذات من هذا المنظور هي نتاج عملية التفاعل الاجتماعي، بمعنى أنها لا تظهر إلا عندما يكون الفرد اجتماعياً، ومن ثم فان مفهوم الذات لا ينمو إلا في إطار العلاقات الاجتماعية والمجتمعية وإذا ما اضطرت هذه العلاقات مع محيطها الذاتي فان نموها واستكانتها للظهور سيكون محكوماً ومبنياً على هذا الاضطراب المجتمعي وعليه يجب ان يكون المحيط المجتمعي هو بيئة خصبة وملائمة لنمو الذات الاجتماعية من على الصعيد المسرحي، واذا ما بحثنا في جزئيات الذات بشكل عام او ذات الكاتب والمؤلف فسنصل الى التالي:

الذات الفردية: والتي تشمل على الممتلكات المادية للذات المنفردة وعلى محيطها الاجتماعي الذي يُمكن أن يضع الذات الفردية بانسجام معها، فباعتبار ان ادب المسرح كذات منفردة تسعى الى اعتبار مؤلفاته المسرحية من نصوص هي ذخيرهته المادية الى جانب الموروث المجتمعي من عادات وتقاليد ثقافية متوارثة وهي بمثابة المحيط المجتمعي له.

الذات الاجتماعية: وهي الذات التي يتم معرفة الآخر من خلالها، والصورة التي يكونها الآخر عنه بمعنى الفكرة التي تكونها الذات عن نفسها من خلال تصورات الآخرين لها، فالمؤلف بصفته الذاتية يسعى الى ان يُكوّن الصورة المناسبة والتي تتماشى والثقافة المجتمعية من خلال انتاج النصوص المسرحية وهي صورة يسعى المسرح الآخر الى تكوينها عنه مبتدئاً من ذاته المسرحية مروراً بالمحيط المسرحي -اجتماعياً وثقافياً-.

الذات الروحية (الانسانية): وهي التي تتمثل في النواة المركزية للذات، وتحوي الشعور والعواطف الفردية، والميول والقدرات العقلية والاستعدادات النفسية، فهي بذلك نواة الذوات المسرحية كتجربة تسعى لاستقطاب الشعور والعواطف وكافة القدرات المسرحية للميول صوبها وتحقيق ذات فعالة منتجة.

فالواقعية وسلوكها صوب المسرح كتجربة ذاتية أكثر ارتباطاً بالطبيعة الفردية والذاتية بينما مفهوم المثالية وسلوكها المثالي يرتبطان أكثر بالمفاهيم والقيم الاجتماعية العامة، ومن يكون له مفهوماً مُنخفضاً ومُتدني للذات يكون لديه مُشكلات سلوكية تُماثل تلك التي يكون له مفهوماً مُبالغاً فيه للذات، والذات الفردية السوية عندما تُحدد مفهومها المثالي فإنها تحدد الصورة

المثالية التي هي في حاجة إلى تحقيقها والتي تسعى إلى تحقيقها كأقصى ما يمكن أن تُحقِّقه من هذا المفهوم، وهذا يدفعها إلى تغيير وتعديل سلوكها إلى الأفضل، وهذا ما يُبرر المواقف الاجتماعية والتي تُظهر فيها الذات المتفردة أنماط جديدة وقد تكون مُختلفة من السلوك القدي، فسلوك الكاتب الاديب تفردت بابتكار نمط جديد من الكتابة المسرحية وهي بذلك تُحدد الدور الذي يُرسم بتصور فردانيتهما من خلال الأدوار الاجتماعية، من العوامل الهامة التي تُساهم في تكوين مفهوم الذات المسرحية لديه، ويُعتمد بالضرورة على المعايير الاجتماعية في إدراك ذاتنا، واعتماداً على المدى الذي يبلغه في ذلك الإدراك، وإذا لم يكن كذلك فإنه يُمكن اتخاذ دور الآخر وتوقع استجابات الآخرين عنه. ويؤثر مركز الطبقة الاجتماعية على تُقبل الذات المسرحية أو الشعور بقيمة الذات، اما المعايير الاجتماعية فهي الاخرى تصل بالذات الفردية للحُكم عن نفسها فهي تحمّل عليها بصفة من الصفات وفق درجة معينة، وبالنسبة لمعيار مُعين تُنشئها الذات الفردية من المعايير الاجتماعية متمسحةً. وأن التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية الناجحة تُعزز الفكر السليم عن الذات وأن مفهوم الذات الموجب يُعزز نجاح التفاعل الاجتماعي مسرحياً ويُزيد من نجاح العلاقات الاجتماعية للفن مسرحياً. ولا يتفاعل الجنس البشري كأفراد بل كأعضاء في جماعات.

وتركزت مجموعة من الاتجاهات الدراسية حول تأثير مفهوم الذات الفردية على السلوك الاجتماعي فالفرد لا يُصبح كائناً إنسانياً إلا بدخوله في علاقات مُتبادلة مع الآخر من الأفراد الإنسانيون كما تعمل الجماعات على إشعار الفرد بالانتساب لهم وبيان مكانته فيها لزيادة احترامه لذاته (أبو زيد، أ، ١٩٨٠، ١١٠) وهذا جُل الموضوع ولبه فالتجربة المسرحية متفردة -للكاتب- قد لا تعني الشيء الكثير لكن في خضم الانسيابية الجماعية واندماجها بالمحيط الخارجي -محلياً وعالمياً- قد يفسح المجال للعب دور أكبر في إيصال المنجز-أدبياً مسرحياً- الى الساحة والثقافة المحلية والعالمية وعدها اندماجاً مع الثقافات الأخرى وحسب وجهة نظر الباحث، فهُنالك إحساس داخل الذوات الجماعية مُتمثلاً بأفرادها، بالشعور بالتبعية والانتماء الى وحدة واحدة ويتحدد من خلالها الدور الاجتماعي لكل ذات فردية ومكانتها الاجتماعية، فالذوات الجماعية هي التي تُعطي لشخصية الفرد ذاته مفهومها وهدفها ودورها وطبيعتها (الكاريزما). وكذلك فان للتفاعل بين ذوات الأفراد الجماعية والواحدة يُفضي الى ان يُؤثر كل فرد في الآخر ويتأثر بذاته.

ففي جُملة الأحوال الاجتماعية والمنجزات الفكرية والعلمية والتقنية وأنماط التفكير والقيم السائدة، أي كل ما يتداوله الناس في حياتهم الاجتماعية من مكتسبات يحصل الثقاف بالتناقل والتعلم. ويتعدد ويغتنى في تجلياتها ومظاهرها، كما هو قابل أيضاً لأن يفعل ويتأثر ويتفكك، فالهوية الثقافية كيان يتغير ويتطور وليس مُعطى جاهزاً ونهائياً. أما على المستوى

الكوني فليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما توجد ثقافات متعددة مُتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من ذواتها على الحفاظ على كيائها ومقوماتها الخاصة، وبقدر ما تملك ثقافة ما قدرة ذاتية على الانفتاح، والحوار بقدر ما تساهم في عملية (الثقاف Transculturation) الإيجابي مع الثقافات الأخرى.

الخاتمة:

(الثقاف Transculturation) هو قدرة ذاتية تأويلية على الانفتاح والحوار والقدرة على صهر ودمج التعدد الثقافي داخلها بقدر ما تساهم عملية (الثقاف Transculturation) الإيجابي مع الثقافات الأخرى وفي خلق بيئة مستقرة ومتوازنة صالحة للعمل، ويتضح أيضاً أن المثاقفة هي وسيلة اتصال وتواصل لها قدرة تأويلية متنوعة البنى الفكرية، ويتبين أن عامل التكتيف والانصهار لهما سيرورة (الثقاف Transculturation) مع الآخر بصورة جلية نحو حالة تتلاءم مع شكل الثقافة المسيطرة، وتتراحم وتتداخل مُجمل القيم والرموز والمعتقدات والمعايير والأعراف والتقاليد مع التطورات الثقافية والتكنولوجية المعاصرة منصهرة مع عصر العولمة التقني المكثف بمجمل التطورات والاكتشافات التي ازدهمت مع الحروب والاستعمار، وتُعد الهوية الثقافية كيان يتغير ويتطور وليس مُعطى جاهزاً ونهائياً فهي قابلة للتأويل، فليست الثقافة مجموعة مكونات ثابتة ومغلقة تصلح لكل مكان وزمان؛ بل هي مُتغيرة وكذلك مرنة نسبية، ويؤدي (الثقاف Transculturation) إلى تهديد الاستقرار الاجتماعي ومُهدم له؛ هذا التهديد يمس بالدرجة الأولى الهوية الثقافية للذوات الجماعة من خلال طمس المبادئ والأسس التي تقوم عليها عملية بناء الهوية لدى الأفراد الذوات، والتي تتكون لديهم في المراحل الأولى من حياتهم وتكوينهم النفسي والاجتماعي، إن الثقافة الوافدة تُمثل عامل من العوامل المهددة للتوازن النفسي للفرد، إذ تولد لديه صراعاً ثقافياً بين الأخذ بمعايير هذه الثقافة أو التمسك بثقافته الأصلية، فهي إذا كانت ذات طابع مغربي وتستجيب لأهواء الفرد، تعمل على هذا النحو لا غير، أو أن تكون المقاومة لسياسات التغريب الاستعمارية، التي تعتمد لها الثقافة الوافدة، يكون هو الحل الأمثل من خلال التمسك بالتراث أمر في غاية الفعالية، ف(الثقاف Transculturation) أثر مُتعدد على المستوى الفردي، فهو يلعب دور البناء للهوية الفردية والمُهدد للتوازن في ذات الوقت من خلال فتح المجال لاختيار الذوات لأنماط الحياة والعمل وعلى المكانة الاجتماعية والقيم التعليمية بهدف إعادة التكوين الاجتماعي، وهو الأفق الذي تنفتح عليه الهوية انطلاقاً

من مفهوم الوعي بالذات، وعليه نصل إلى ان الفعل الثقافي هو فعل كينونة وليس قفز على الخصوصية الذاتية.

المصادر والمراجع

الكتب

BRAMI, A. L'acculturation, (2000). étude d'un concept. Paris, France. DESS, No121.

1. أبوزيد، إبراهيم. (1980). سيكولوجية الذات والتوافق. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
2. بونت، بيار، وإيزار، ميشال. (2011). معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا. (الطبعة الثانية). ترجمة، الصمد، مصباح. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
3. دورتيه، جان فرانسوا. (2011). معجم العلوم الانسانية. (الطبعة الثانية). ترجمة، كتورة، جورج. ابوظبي، بيروت. كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
4. حنفي، حسن. (1991). مقدمه في علم الاستغراب. القاهرة: الدار الفنية.
5. فيركلف، نورمان. (2015). الخطاب والتغيير الاجتماعي. ترجمة، عناني، محمد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (2593).